مقتل

الأعشى الهمداني

obeikandl.com

obeikandl.com

ترجمته[١]

هو «عبدالرحمن بن الحارث بن نظام بن جشم بن عمرو بن مالك بن عبدالحق بن زيد بن حرب بن قيس بن عامر بن مالك ابن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان وهو «أوسلة» بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان»[٢].

هكذا ساق الهمداني نسبه في الجزء العاشر من سفره الموسوم بالإكليل. والهمداني أقوم على هذا النسب من غيره ممن عنوا بأخبار الأعشى، وأوردوا في نسبه قطعاً من هذا السياق اعتوره الخلط حيناً والتحريف حيناً آخر[٣].

(١) نقلاً عن: رسالة (ديوان أعشى همدان وأخباره) للدكتور حسن عيسى أبو ياسين، بتصرف يسير.

(٢) الإكليل ٨٥/١٠ وفي آخر هذا السياق قال الهمداني: «وقد يقول نساب الكوفة: ابن عبدالجن ـ بدلاً من ابن عبدالحق الوارد في السياق هنا ـ وهو ابن عبدالحق».

(٣) من ذلك في الأغاني ٢٣/٦، ط دار الكتب. قال: «وهو عبدالرحمن بن عبدالله بن الحارث بن نظام بن جشم بن عمرو بن الحارث بن عبدالحر بن جشم بن زيد» وواضح أن هذا السياق غلب عليه الخلط والتصحيف في أكثر من موضع إذا ما قيس بسياق الهمداني المتقدم، ولعل أظهر ما فيه أن جعل الحارث جداً للأعشى وهو عند الهمداني أب له، ثم زاد في موضع وحرَّف في موضع آخر، وأسقط ما بين عبدالحر ـ وصوابه عبد الحق ـ وبين جشم بن حاشد ستة أسماء أخرى. واتفق في أول هذا السياق معه الزبير ابن بكار في الموفقيات، ص٥٤٨؛ والآمدي في المؤتلف والمختلف، ص١٢. أما ابن حزم فلم يزد في جمهرته، ص٣٩٣ على القول أنه «عبدالرحمن بن الحارث»، ومثل ذلك نجده عند ابن حبيب في المغتالين من الشعراء، ص٢٦٥. قال: هو «عبدالله بن عبدالرحمن بن الحارث بن نظام» وهذا خلط منكر.

لُقِّب بالأعشى، وفي قبائل العرب ما يزيد على ثلاثين شاعراً يعرفون بهذا اللقب، وإنما نُسبوا إلى قبائلهم فقيل: أعشى همدان، وأعشى شيبان، وأعشى باهلة.. إلخ تمييزاً لهم عن الأعشى الكبير ميمون بن قيس.

وفي معجم الشعراء للمرزباني والمؤتلف والمختلف للآمدي جملة من أسماء هؤلاء الشعراء.

ويكنىّ أبا المُصَبِّح، وصفه أبو الفرج بقول: هو شاعر فصيح، كوفي، من شعراء الدولة الأموية[١].

وَعدَّه الأصمعي قبل ذلك في الفحول الإسلاميين المكثرين[٢]، وكان يحفظ له كثيراً من الأشعار والأخبار نجدها فيما رواه أبو الفرج من طريقه وهو يترجم الأعشى.

أما الجاحظ فقال: «ومن الخطباء الشعراء العلماء وممن تنافر إليه الأشراف: أعشى همدان»[٣].

لم يرتبط اسم أعشى همدان بأي حدث تاريخي كما ارتبط بثورة ابن الأشعث الذي خرج على الحجاج بن يوسف الثقفي، وحشد معه أهل الكوفة، فلم يبق من وجوههم وقرائهم أحد له

(١) الأغاني ٦/٢٣، ط دار الكتب.
(٢) الأغاني ٦/٤٥.
(٣) البيان والتبيين ١/٤٨، ط هارون.

نباهة إلا خرج معه، لثقل وطأة الحجاج عليهم، وكان فيمن خرج معه أعشى همدان[١].

وقد شارك في هذه الثورة مشاركة فعلية، ووقف منها موقفاً فنياً فيما أنشده من شعر، إذْ كان شديد التحريض في تلك الثورة على الحجاج، وانطلق ينشد الأشعار في مدح ابن الأشعث تارة وفي هجاء الحجاج تارة أخرى، وهو في جميعها يحاول أن يجمع القبائل العربية إلى لواء هذه الثورة بما كان يثيره فيها من عصبية قبلية وبما كان يذيعه فيها من ذكر المجد اليمني القديم الذي يمثله ابن الأشعث الكندي، فهو صاحب «إرث جدود» في الملك والمجد.

لقد كان أعشى همدان شاعر هذه الثورة بلا منازع، ولم تكن مشاركته فيها مشاركة فنية فحسب، وإنما شارك فيها مشاركة عملية إذ جرّد لها سيفه ولسانه جميعاً، فكان بذلك من أشد الناس تحريضاً على قتال الحجاج وخلعه بما أنشده في هجائه من الأشعار، وبما قاله في حض الناس من قحطانيين وعدنانيين على الانضمام لصفوف الثورة.

وتحدثنا أخباره فيها أنه كان أول من خلع الحجاج والخليفة الأموي عبدالملك بين يدي ابن الأشعث وهو في سجستان[٢].

(١) الأغاني ٦٤/٦، وانظر في أحداث ثورة ابن الأشعث: الطبري، أحداث سنة (٨١ ـ ٨٣ هـ).
(٢) المسعودي في مروج الذهب ١٥٥/٣.

ولم تكن دوافع أعشى همدان في هذه الثورة تختلف في شيء عن دوافع ابن الأشعث في طلب المجد والسيادة، وبعثه من جديد في قبائل اليمن التي يتربع ابن الأشعث اليوم على عرش زعامتها الموروثة، بما كان لقبيلته كندة من أسباب في الملك والسيادة.

والأعشى يلتقي مع ابن الأشعث في هذه الثورة من ناحيتين، فكلاهما يصدر في دوافعه عن عصبية يمنية خالصة يجتهدان في إحيائها وإحياء ما كان لها من المجد والسلطان، وقد ضاقت نظرة الأعشى بصفة خاصة حين رأى أن مجد اليمن القديم يتقاسمه قبيلان هما: كندة وهمدان؛ ففيهما كان الملك والسيادة، فإذا كان مجد كندة قد انتهى إلى ابن الأشعث فإن مجد همدان قد انتهى إلى آل سعيد بن قيس الهمداني الحاشدي فهما «سليلا ملوك في الزمان أعزّة» وفضلاً عن التقاء كندة وهمدان في هذا الجانب فإنهما تلتقيان في جانب آخر، فأم ابن الأشعث هي بنت سعيد بن قيس الهمداني، وإلى هذا وذاك يشير الأعشى بقوله مخاطباً ابن الأشعث:

إنْ تَكُ من كِنْدَةَ في بيتِها
فإنَّ أخوالَك من حاشدِ

وبقوله في موضع آخر:

فإذا سألْت: المَجْد أيْن مَحلُّه
فالمجدُ بين مُحمدٍ وسعيدِ

ونمضي مع أخبار هذه الثورة، أو قل إننا نمضي مع أخبار الأعشى فيها، فنراه يسجل وقائعها ابتداء وانتهاء، ويدور معها حيثما دارت وكأنما وجد فيها منتهى أمانيه.

نجده ابتداء في سجستان حيث بدأت مسيرة ابن الأشعث بجش الطواويس يهدي به نحو العراق لا نتزاعه من الحجاج. بينما الأعشى يحجل بين يديه على فرس له أشقر وهو ينشد[١].

شَطَّتْ نَوَى من دارُه بالإيوانْ

إيوانِ كِسْرَى ذي القُرى والرَّيْحانْ

من عاشق أمْسَى بزابُلستانْ

إن ثَقيفًا منهُمُ الكذَّابانْ[٢]

كذابُها الماضي وكذابٌ ثَانْ

أمْكَنَ رَبِّي من ثَقيفٍ هَمْدانْ

إنَّا سَمَونا للكَفُور الفَتَّانْ

بالسَّيدِ الغِطْرِيفِ عبدِالرّحمنْ

---

(١) وردت هذه الأرجوزة في مصادر كثيرة، لعل أبرزها كتاب الأغاني؛ وتاريخ الطبري والمغتالين من الشعراء؛ ومروج الذهب وغيرها كثير.
انظر: في تخريجها الديوان صفحة: ١٦٣.

(٢) إذا كان الشاعر أراد بالكذاب الثاني الحجاج بن يوسف الثقفي فإن الكذاب الأول من ثقيف المختار بن أبي عبيد الثقفي. الذي قال عنه ابن حزم في الجمهرة، ص٢٦٨: إنه ادعى النبوة بالكوفة.

obeikandl.com

سار بجمع كالدَّبَى من قحطان
ومن مَعَدٍّ قد أتَى ابنُ عَدْنانْ
بجَحْفَلٍ جَمٍّ شَديدِ الإرْنانْ
فقُلْ لحَجَّاجٍ وَلِيِّ الشيطانْ
ليثبت لجَمْعِ مَذْحِجٍ وهَمْدانْ
والحَيِّ من بَكْرٍ وقَيْسِ عَيْلانْ
فإنَّهُمْ ساقُوهُ كَأسَ الذَّيْفانْ
ومُلحقُوه بقُرَى ابنِ مروانْ

ولعل أظهر ما في هذا النص اجتماع القبائل العربية القحطانية والعدنانية: على حد سواء على قتال الحجاج وخلعه، ففيها من القحطانية كندة التي يمثلها ابن الأشعث، وهمدان يمثلها الشاعر نفسه مع بقية قومه، وقبائل من مَذْحج، ومعروف أن مذحجاً تضم قبائل كثيرة مثل: مراد وبلحارث بن كعب وزبيد، ثم هناك العدنانية وشمل الشاعر جمهور قبائلها في بكر وقيس عيلان، والشاعر على هذا النحو يؤكد ما ذهبنا إليه من أن العصبية القبلية كانت توجه دوافعه في تلك الثورة.

أما الأمر الثاني فيتصل بتعريض الشاعر بالحجاج وقبيلته ثقيف، وما ذلك إلاّ ليزيد في إفساد سيرته عند الناس، لتزيد بذلك ثورتهم عليه، فرأى أنه كفر وتمادى في كفره وطغيانه، حتى

صار ولياً للشيطان، ثم يذكر بأن ذلك الأمر ورثه الحجاج عن قبيلته ثقيف التى خرج منها رجال طالما افتروا على الله الكذب بادعائهم النبوة؛ فمنها كذابها الأول المختار أبي عبيد الثقفي الذي ادعى النبوة بالكوفة كما قال ابن حزم.

وقصد الأعشى بذلك تعبئة «الرأي العام» إذا جاز هذا التعبير ضد الحجاج ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ.

لقد دارت الدائرة على ابن الأشعث في آخر المطاف، ومني بهزيمة ساحقة من الحجاج في (دير الجماجم) (سنة ٨٢هـ)، وتفرق جميع من معه شذر مذر، فمنهم من فرَّ ومنهم من قُتل ومنهم من أسر، مصداقاً لما قاله أئمة أهل السنة والجماعة في سنة الله فيمن خرج على سلطان المسلمين، وأن مصيره الفشل والخذلان، فاعتبروا يا أولى الأبصار.

أما أعشى همدان فإنه كان من الواقعين في أسر الحجاج، حيث كانت نهايته ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ.

❀ ❀ ❀

obeikandl.com

القصيدة التي قتلته

علمنا ـ سابقاً ـ أن أعشى همدان قد قصر شعره على نصر ثورة ابن الأشعث، إما بمدح صاحبها، كما في قوله[١]:

يأبى الإلهُ وعـزةُ ابن مـحـمـد
وجـدود ملْك قـبلَ آل ثَمـودِ

أن تأنسوا بمذمّمين، عـروقُـهم
في الناس إن نُسبوا عروقُ عَبيدِ

كم من أب لك كان يعقِد تاجه
بجـبين أبلجَ مِـقـوَلٍ صِنديدِ

وإذا سـألتَ: المجد أين مـحلّه؟
فـالمجدُ بين مـحـمـد وسـعـيدِ

بين الأشجّ وبين قـيسٍ باذخٌ
بَخْ بَخْ لوالده وللمـولود

ما قصَّرَتْ بكَ أن تَنال مَدى العُلا
أخـلاقُ مَكرُمـةٍ وإرثُ جـدودِ

قَـرْم إذا سـامى القُـرومَ ترى له
أعـراقَ مـجـدٍ طارفٍ وتَليـدِ

(١) الأغاني ٦/٤٦.

وإذا دعـا لعظيـمـةٍ حُـشـدتْ له
هَمـــدان تحت لوائه المعـــقـــودِ

يَمشون في حلَق الحديد كأنهم
أُســد الإباء ســمــعنَ زَأرَ أســودِ

وإذا دعـــوتَ بآل كِندة أجـــفلوا
بكهـول صـدقٍ سـيّـد ومَـسـودِ

وشبـابِ مـأسَـدةٍ كـأنّ سـيـوفَـهم
فـي كلّ مَلحَـــمـــةٍ بـروقُ رعـــودِ

مـا إن ترى قـيسـاً يقارب قـيسَكم
في المَكرُمـات ولا ترى كـسـعـيـدِ

وإما أن يكون شعره في هجاء الحجاج الثقفي، وهو ما كان سبباً في قتله بعد أن أمكن الحجاج منه.

فمن ذلك: أنه لما أُتي به إلى الحجاج أسيراً بعد معركة (دير الجماجم) قال له الحجاج:

الحمد لله الذي أمكن منك! ألست القائل:

لمَّـا سَـفَـوْنا[1] للكَفـور الفَـتَّـانْ
بالسيِّد الغِطريف عبدالرحمنْ

سار بجمْع كالقطا من قحطانْ
ومن مَـعَـدّ قـد أتى ابن عَـدنانْ

(١) سفا: خف وأسرع.

أمكن ربّي من ثَقيف هَمدانْ
يوماً إلى الليل يُسلّي ما كانْ
إنَ ثقيفاً منهم الكَذَّابانْ
كذَّابُها الماضي وكذابٌ ثانْ

أولستَ القائل:

يابنَ الأشج[1] قَريعِ كِنـ
ـدةَ لا أبالي فيك عَتْباً
أنت الرئيسُ ابنُ الرئيـ
ـس وأنت أعلى الناس كعبا
نبئتُ حَجَّاجَ بن يو
سف خَرَّ مِن زَلَقٍ فَتَبّاً
فانهض فُدِيتَ لعلَّه
يجلو بك الرحمنُ كَربْا
وابعث عطيَّةَ في الخيـ
ـل يَكُبّهنّ عليه كَبّاً

كلا يا عدوَّ الله، بل عبدالرحمن بن الأشعث هو الذي خَرّ من زَلَقٍ فتَبّ، وحار وانكبّ، وما لقي ما أحب؛ ورفع بها صوته وأربد وجهُهُ واهتزّ منكباه، فلم يبق أحد في المجلس إلا أهمَّتْه نفسُه وارتعدت فرائصُه.

(١) الأشج: هو الأشعث بن قيس الكندي جد عبدالرحمن بن محمد صاحب الثورة. والقريع: السيد.

obeikandl.com

فقال له الأعشى: بل أنا القائل أيها الأمير:

أبى اللهُ إلا أن يُتَمم نوره
ويُطفئ نار الفاسقين فتخمدا

ويُنزل ذُلاً بالعراق وأهلِه
كما نقضوا العهدَ الوَثيق المؤكّدا

وما لبث الحجاجُ أن سَلّ سيفه
علينا فولَّى جمعُنا وتبدّدا

وما زاحَف الحجاجُ إلا رأيتَه
حُساماً مُلقَّى للحروب مُعَوَّدا

فكيف رأيتَ الله فرّق جمعَهم
ومزَّقهم عُرضَ البلاد وشرَّدا

بما نكَثوا من بَيعة بعد بيعة
إذا ضَمِنوها اليوم خاسُوا[1] بها غدا

وما أحدثوا من بِدعة وعَظيمة
من القول لم تصعَد إلى الله مَصعَدا

ولمَّا دَلَفنا لابن يوسف ضِلَّة[2]
وأبرق منا العارضان وأرعدا

(١) خاس: غدر ونكث.
(٢) الضلة (بالكسر): ضد الهدي.

قطعنا إليـــه الخندقين وإنما
قطعنا وأفضينا إلى الموت مُرصِدا[١]

فصادَمَنا الحجاجُ دون صفوفنا
كِفاحاً ولم يضرب لذلك موعدا

بجُند أميـــر المؤمنين وخـيلِه
وسلطانه أمسى مُعاناً مؤيَّدا

ليهنئ أميـرَ المؤمنين ظهورُه
على أمة كانوا بُغاةً وحُسَّدا

وجدنا بني مروان خيرَ أئمة
وأعظمَ هذا الخَلق حلماً وسُؤدُدا

وخيرَ قريش في قريش أَرُومَةً
وأكرَمهم إلا النبيَّ محمداً

إذا ما تدبّرنا عواقبَ أمرنا
وجدنا أمير المؤمنين المُسَدَّدا

سيغلِب قوماً غالبوا الله جَهرة
وإن كايدوه كان أقوى وأكيدا

كذاك يُضلّ الله من كان قلبُه
ضعيفاً ومن والى النفاقَ وألحدا

(١) مرصدا: مترقبا.

فقد تركوا الأموال والأهل خلفَهم
وبيضاً عليهن الجلابيب خُرّدا

يناديهم مستعبراتٍ إليهم
ويُذرين دمعاً في الخدود وإثمِدا

وإلا تَناولهنّ منك برحمة
يكنّ سَبايا والبُعولةُ أعبُدا

تَعطَّفْ أميرَ المؤمنين عليهمُ
فقد تركوا أمرَ السفاهة والرَّدى

لعلهمُ أن يُحدثوا العامَ توبةً
وتعرفَ نُصحاً منهمُ وتودُّدا

لقد شمْتَ يابن الأشعث العامَ مصرنَا
فظلواْ وما لاقوا من الطير أسعُدا

كما شاءم الله النُّجَير[1] وأهلَه
بجَدِّك مَن قد كان أشقى وأنكدا

فقال من حضر من أهل الشام: قد أحسن أيها الأمير، فخلّ سبيلَه.

فقال الحجاج: أتظنون أنه أراد المدح؟!

لا والله! لكنه قال هذا أسفاً لغلبتكم إياه، وأراد به أن يحرّض أصحابه.

(١) النجير: حصن باليمن قرب حضرموت.

ثم أقبل عليه فقال له: أظننت يا عدوّ الله أنك تخدَعني بهذا الشعر وتنفلت من يدي حتى تنجوَ! ألستَ القائل! ويحك!:

وإذا سألتَ: المجدُ أين محلُّه
فالمجدُ بين محمد وسعيدِ
بين الأغرِّ وبين قيس باذخٌ
بَخْ بَخْ لوالده وللمولودِ

والله لا تبخبخ بعدها أبداً.

أو لست القائل:

وأصابني قومٌ وكنتُ أصيبهم
فاليوم أصبِر للزمان وأعرف!

كذبتَ والله ما كنت صبوراً ولا عروفاً. ثم قلت بعده:

وإذا تُصبْك من الحوادث نكبةٌ
فاصبرْ فكل غَيابة ستكشَّف

أمَا والله لتكوننَّ نكبة لا تنكشف غَيابتُها عنك أبداً! يا حَرَسيّ، اضرب عنقه؛ فضرب عنقه[1].

❀ ❀ ❀

(١) انظر: الأغاني ٥٨/٦ ـ ٦٠.